

## الحركات السياسية الإسلامية والأسئلة المطروحة

د. علي محمد فخرو

28/06/2007 القدس العربي

من حق الناس أن يطرحوا الأسئلة التي تقلقهم علي الحركات الإسلامية السياسية الكبيرة ومن واجب تلك الحركات أن تجيبهم بوضوح وشفافية وتفصيل وذلك قبل إستلامها الحكم وليس بعد الوصول إلي سدّته.

هذا موضوع ليس بأكاديمي ولا يقصد به اللّجاجة، إذ أنه أصبح قابعاً في قلب الحياة السياسية العربية. فالأحزاب والجمعيات السياسية الإسلامية أصبحت متواجدة، وإن بنسب مختلفة، في مؤسسات الحكم والبرلمانات والنقابات والمعارضة عبر الوطن العربي كلّهُ. وفي بعض الأقطار استلمت مقاليد الحكم بكامله أو أنها تحتّ السير بثبات نحو ذلك. لعلّ أهم الأسئلة هي المتعلقة بالجوانب الأربعة التالية:

أولاً: المنطلقات الأساسية التي تقود بالضرورة إلي تصنيف الحركة أو الحزب من الناحيتين الإيديولوجية والفكرية. أهو المنطلق السلفي المتمسك بشدّة بتبني قراءة الأجيال الإسلامية الأولى للنصوص القرآنية والنبوية، بما فيها التأويل الحرفي غير المرن للقرآن الكريم، وبالتالي عدم الاعتراف بحق الأجيال الإسلامية الحاضرة في إجراء قراءتها وتأويلها؟ وفي هذه الحالة ما مكان ومكانة المعارف والعلوم الحديثة والتجارب الإنسانية التي تراكت عبر القرون؟ أم أنه المنطلق الوسطي الذي يتمسك بالكثير من تراث قراءة النصوص السابقة ولكنّه في نفس الوقت لايرفض حق الأجيال الحالية في قراءة تلك النصوص بروح من العقلانية والتجديد والإبداع الذي يأخذ بعين الاعتبار مستجدات ومتطلبات العصر؟ أم أنه المنطلق التقدمي الجذري التجديدي الذي يلحّ علي الأجيال الحالية أن تقرأ النصوص الإلهية والنبوية من خلال مقاصدها الكبرى بمنهجية أعمال العقل المجتهد المجدد وبالاستفادة القصوي من العلوم المعاصرة وعلي الأخص الاجتماعية والنفسية والفلسفية واللسانيات وغيرها. إن معرفة المنطلق الأساسي لهذا الحزب الإسلامي أو ذاك سيشير إلي نوع الأجواء والنظم والعلاقات وإلي مدي المرونة أو الجمود التي ستطبع المجتمعات في حالة استلام أي من هذه الأحزاب الحكم.

ثانياً: ليس بكاف علي الإطلاق أن تطرح الحركات الإسلامية شعار الإسلام هو الحل ، وهو شعار يتصف بالعمومية المفرطة، وتتجنب تفصيل المبادئ والإيديولوجيات والبرامج السياسية والإقتصادية والاجتماعية. فإذا كانت الديمقراطية قد أصبحت أحد شعارات الكثير من الحركات الإسلامية فمن حق الناس أن يعرفوا إن كانت هناك أية تحفّظات تجاه أحد مبادئها أو أحد جوانب تنظيمها. وفي الاقتصاد هل النظام الذي تتبناه الحركة هو النظام الرأسمالي أم النظام الاشتراكي أم هو خليط من الاثنين كالنظام الديمقراطي الاشتراكي، لا بالفهم الغربي بالضرورة ولكن بفهمها الذاتي، وما هي الروح التي ستهمين علي العلاقات الاقتصادية الاجتماعية: روح أبي ذر العفّار المتعلقة بالعدالة المثالية القصوي في توزيع الثروة والسلطة أم روح الملا الذي هيمن علي الخلافة الإسلامية فتراجع كثيراً عن وهج

الإسلام وثوريتته التي توجهت في الأصل بقوة نحو الفقراء والمستضعفين؟  
ثالثاً: ثم إن الإسلام الأول قد انقسم علي نفسه مذهبياً. وبالرغم من أن ما يجمع المذاهب أكثر بكثير ممّا يفرّقها إلا أن هناك جوانب أساسية، من مثل ما يتعلق بنظام شرعية الحكم وبالذور الذي تلعبه المؤسسة الدينية ورجالها، تبقى موضوع خلاف. وهي قضايا تمسّ صلب الحياة السياسية. فكيف ستتعامل الحركات الإسلامية السياسية مع هذه الإنقسامات؟ أم أنها ستقدّم نفسها كحركات إسلامية مذهبية فتضعف نفسها كثيراً وتضع بذور الصّراع المستقبلي المرير بين مكوناتها؟

رابعاً: مثلما واجهت الأحزاب القومية العربية، عند استلامها الحكم، إشكالية الموازنة بين القطري والقومي، ستواجه الحركات الإسلامية السياسية إشكالية الموازنة بين القطري وبين ثوابتها والتزاماتها الكونية، فكيف ستتعامل مع هذه المعادلة الصّعبة؟ لننذكر الموقف الصعب الذي واجهته حماس.

مثل هذه الأسئلة، وغيرها كثير، يجب أن تطرحها الحركات الإسلامية السياسية علي نفسها، ثم تجيب علي أسئلة الناس. هذه ليست أسئلة القوي التي تريد إحراج التيار الإسلامي السياسي كخضم سياسي. إنها أسئلة المواطن العادي الذي يعرف أن الساحة السياسية العربية الفاعلة في الوقت الحاضر تحدّد مسارها، وبالتالي إنجازاتها وإخفاقاتها المستقبلية، القوي السياسية الإسلامية. وضوح المستقبل يتطلب الإجابة علي كل الأسئلة الكبرى